رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

نظامين للتبرير (٤: ٤-٨)

تأليف: دفيد روبر

عندما وصلنا الى الأصحاح الرابع في منهجنا الدراسي للرسالة إلى أهل رومية بجامعة أبيلين المسيحية، كتب بروفسر جي دي توماس على السبورة. قائلاً: «في هذا الأصحاح يقارن بولس بين نظامين للتبرير»[1]. عندما انهى الكتابة، كان ماكتبه كالاتي:

نظام ناموس/أعمال	نظام نعمة/إيمان
افتخار	تواضع
كسب	لا بالأعمال
جدارة بشرية	ولا من الذات
إنجاز	التوكل على نعمة الله
دين	عطية

أشار إلى القائمة الثانية وقال: «قارن هذا بما ورد في أفسس ٢: ٨ و٩».

نستمر هنا بدراسة الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية. أتمنى أن يكون التباين الذي أجراه الأخ توماس واضح لك عندما ننهي دراسة هذا الأصحاح.

تحليل المفهوم (٤: ٤-٨)

نظامين (الآيتان ٤ و٥)

لخص بولس في الأصحاح ٤ نظام الناموس/الأعمال: «أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ {لوقيزوماي[2] λογίζομαι} لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ». هذا المبدأ المعطى هنا واضح جداً بحيث لا يحتاج إلى الكثير من التفسير. إذا كنت تعمل عند شخص ما، فأنت لا تعتبر الأجرة التي يدفعها لك عطية أو منحة. أنت لا تعتبر {أجرتك} «استحسان» منه. قد تقول «شكراً» كلطف منك أو احترام، ولكنك تعتبر انه مديون لك بهذا المبلغ {مقابل العمل الذي أديته}.

يقول نظام الناموس/الأعمال باننا لا نخلص بالنعمة، بل أعمالنا الصالحة تجعل الله مديون لنا.

في الآية ٥ وضع بولس هذا النظام في تباين مع النعمة/نظام الإيمان: «وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا». تتطلب عبارة «الَّذِي لاَ يَعْمَلُ» بعض الأهلية. عند تفسيرها خارج السياق قد تدل ضمناً على أن العمل للرب غير ذو أهمية (وهذه فكرة ترعب معظم المفسرين الدينيين ولا شك انها كانت سترعب بولس. هل كان بولس يؤمن بان العمل للرب شيء هام؟ حتماً. فقد مدح برسيس «الَّتِي تَعِبَتْ كَثِيرًا فِي الرَّبِّ» (١٦: ١٢). وكان بولس يشجع قُرَّاءه دائماً على أن يبذلوا جهدهم «فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ» (١ كورنثوس ١٥: ٥٨؛ راجع غلاطية ٥: ٦؛ أفسس ٢: ١٠؛ كولوسي ١: ١٠؛ ١ تيموثاوس

[1] هذه النتيجة الافتتاحية مبنية على ذاكرتي ومذكرات من محاضرة جي دي توماس عن الرسالة إلى أهل رومية بجامعة أبيلين المسيحية في سنة ١٩٥٥.

[2] راجع الحديث عن «لوقيزوماي λογίζομαι» في علاقة مع ٤: ١-٣، ٥.

٥: ١٧؛ ٦: ١٨). ربما ليس هناك من اجتهد في عمل الرب أكثر مما فعل بولس (راجع ١ كورنثوس ١٥: ١٠؛ ٢ كورنثوس ١١: ٢٣، ٢٧).

يتضح إذاً أن عبارة «الَّذِي لاَ يَعْمَلُ» لها معنى آخر. أبسط طريقة لتفسيرها هي بمقارنة عبارتين في الآيتين ٤ و٥: «الَّذِي يَعْمَلُ» و«الَّذِي لاَ يَعْمَلُ». «الَّذِي يَعْمَلُ» (الآية ٤) هو العامل الذي يعمل من أجل الأجرة. و«الَّذِي لاَ يَعْمَلُ» (الآية ٥) هو المؤمن «الذي لا يعمل» لكي يجعل الرب مديوناً له، بل يعمل ليعَبِّر عن محبته وتقديره. كتب ليون موريس قائلاً: «ليس التباين هنا بين العامل وغير العامل (لم يكن بولس {يشجع} الكسل)، بل بين الذي يتكل على أعماله وبين الذي يتكل على الله»[٣].

علماً بهذا المؤهل، لنعود إلى الآية ٥. تبدأ هكذا:

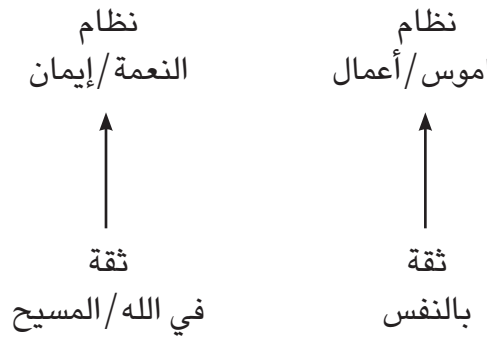

«وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ {لكي يجعل الله مديوناً له}، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ ...» (الآية ٥). كلمة «الفاجر» هنا مترجمة من الكلمة اليونانية «أسبيس ἀσεβής» وهي كلمة شديدة اللهجة وتصف عدم توقير الشخص الله. «يبرر الله الفجار تبريراً تاماً بدون استحقاق»[٤]. يستطيع أن يفعل هذا لأنه قدم ابنه كفارة للخطيئة (٣: ٢٥)؛ «لأَنَّ الْمَسِيحَ ... مَاتَ ... لأَجْلِ الْفُجَّارِ» (٥: ٦).

عندما يتوكل الشخص على الله (وابنه)، «يُحسب {لوقيزوماي λογίζομαι} إيمانه براً». تحدثنا في الدرس السابق عن «نظام حساب الله العجيب». وأكد لنا في ٤: ٥ أن الله يستخدم «نظام معين للحساب» هذا معنا!

مثال اخر (الآيات ٦-٨)

ركز بولس في الأصحاح الرابع على إبراهيم كمثال أساسي كمن تم تبريره بالإيمان، وليس بالأعمال. ولكنه أدخل في الآيات من ٦ إلى ٨ مثال ثان لشخص يحترمه اليهود: الملك داود. قال بولس قبل قليل أن الله «يبرر الفاجر». قد يتساءل بعض اليهود في أنفسهم ما إذا كان إبراهيم «فاجراً». ولكن لا يكون هناك شك بما يختص بداود. خلال أسبوع واحد انتهك داود أربع من الوصايا العشر (٢ صموئيل ١١؛ ١٢؛ خروج ٢٠: ١٣، ١٤، ١٦، ١٧). لا يضع مثال داود التوكيد على الحقيقة أن مبدأ التبرير بالإيمان تم تعليمه في العهد القديم فحسب، بل يوضح أيضاً طبيعة هذا المبدأ الشاملة.

قال بولس:

> كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضًا فِي تَطْوِيبِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسِبُ لَهُ اللهُ بِرًّا بِدُونِ أَعْمَالٍ: «طُوبَى[٥] لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً» (الآيات ٦-٨)[٦].

جاء النص الذي تم اقتباسه هنا من المزمور ٣٢: ١ و٢. يعتقد الكثير من المفسرين أن المزمورين ٥١ و٣٢ لهما صلة بخطيئه داود مع بثشبع[٧] (وبان المزمور ٥١ هو صراخ داود من أجل الصفح[٨]، بينما

---

[٣] ليون موريس في تفسيره بعنوان «The Epistle to the Romans»، صفحة ١٩٨.

[٤] المرجع السابق.

[٥] تشير كلمة «مكاريوس μακάριος» المترجمة هنا إلى «طوبى» إلى الهناء أو الفرح الفريد من نوعه والذي لا يعرفه إلا المؤمن الأمين. قد يُعتَبر هذا «سعادة و أكثر».

[٦] اقتبس بولس هنا من الترجمة اليونانية للعهد القديم (الترجمة السبعينية) كما كان يفعل عادة.

[٧] إن لم يعرف مستمعوك هذه القصة، يستحسن أن تسردها لهم.

[٨] كان العنوان القديم في مقدمة للمزمور ٥١ هو «صلاة الخاطيء المنسحق القلب من أجل الصفح».

المزمور ٣٢ وتعبيره عن الشكر بعد ما غفر له الله)[٩].

قال بولس أن داود تحدث في المزمور ٣٢: ١ و٢ عن «تَطْوِيبِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسِبُ لَهُ اللهُ بِرًّا بِدُونِ أَعْمَال» (رومية ٤: ٦). يحسب الله الشخص بار عندما يغفر له.

أظهر داود في المزمور ٣٢: ١ و٣ شكره وتقديره لنعمة الله. استخدم عدة مصطلحات ليبين مدى شكره. هناك كلمتين في اللغة اليونانية تصف فداحة الخطيئة: صيغة الجمع: «أنوميا ἀνομία» (وقد تترجم إلى «آثام») و«همارتيا ἁμαρτία» (أي «خطيئة»)[١٠].

هناك ثلاث كلمات أخرى تبين عظمة رحمة الرب. أولاً، «غُفِرَت» لداود آثامه (إحدى صيغ الكلمة «افيناي ἀφιέναι»). عَرَّف فرانز دليتزسخ كلمة «غُفر» الواردة في المزمور ٣٢: ١ بانها «رفع الشيء وأخذه من مكانه»[١١].

ثانياً: «سُتِرَتْ» خطايا داود. الكلمة المترجمة إلى «سُتِرَتْ» هي («إپيكالوپتو ἐπικαλύπτω»). وقد فسرها دليتزسخ بانها «أُخْفِيَت حتى لا يمكن رؤيتها، لم يعد يراها الله القدوس. وكأنها لم تحدث أبداً»[١٢].

الكلمة الثالثة الأكثر أهمية في حديث بولس هي الكلمة التي ترجمت إلى «يحسب». يقول كاتب المزمور كما تم اقتباسه في الرسالة إلى أهل رومية: «الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً». ورد استخدام كلمة «يحسب» هنا مرة أخرى. كان بولس يقدم بهذا طريقة أخرى للنظر في «نظام حساب الله العجيب». كان قد قدم في الآيتين ٣ و٥ طريقة إيجابية للنظر إلى «دفتر حساب» الله: وضع الله رصيد البر «للفجار» في عمود المدين من «دفتر الحساب». وفي الآية ٨ قدم بولس طريقة سلبية للنظر في «دفتر حساب» الله: لم يحسب الله الاثم للفجار في عمود الدائن من «دفتر الحساب».

لكي تدرك أهمية ذلك، فكر بما إستحق داود بسبب ما عمله. بحسب ناموس موسى، يستحق الرجم حتى الموت بسبب جريمتين على الأقل: الزنا (تثنية ٢٢: ٢٢ و٢٤؛ راجع يوحنا ٨: ٥). والقتل (لاويين ٢٤: ١٧). ولكن عندما تم الكشف عن خطيئته، لم يجروه خارج المدينة ويرجموه بالحجارة حتى تخرج الحياة من جسده المحطم. ولكن بدلاً من ذلك غُفِرَت خطاياه ... وسُتِرَت ... ولم تُحسب له! لا عجب انه قال لنفسه «طُوبَى»!

قال بولس أن المزمور ٣٢: ١ و٢ هو مثال يبرر فيه الله الشخص «بِدُونِ أَعْمَال» (رومية ٤: ٦). لم يقل بولس انه لم يكن على داود أن يفعل شيء لينال الغفران. كان على قلب داود أن ينسحق في التوبة (راجع ٥١: ١٧). كان عليه أن يعترف بخطيئته للرب (راجع المزمور ٣٢: ٥؛ ٥١: ٣ و٤). كان عليه أن يصلي ليطلب الغفران من الرب (راجع المزمور ٥١: ١، ٢، ٩؛ ٣٢: ٦). ما قاله بولس هو أنه لم تكن هناك من «أعمال» يمكن أن يعملها داود لكي يكسب الغفران أو يحصل عليه بالجدارة. عندما غفر له الله، كان ذلك على أساس النعمة، وليس على أساس الأعمال.

لم يذكر بولس الإيمان في مثال داود (رومية ٤: ٦-٨)؛ ولكن ربما كان الكثير من هؤلاء القراء اليهود يعرفون المزمور ٣٢ عن ظهر القلب. ربما الاقتباس الوارد في الآيتين الأوليتين جعلهم يذكرون ذلك المزمور كله - والذي يشمل هذه الكلمات: «... أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ فَالرَّحْمَةُ تُحِيطُ بِهِ» (آية ١٠).

الحديث عن الهموم

رسالة بولس الأساسية في نصنا هذا واضحة: المسيحية ليس نظام ناموس/أعمال. عندما ينظر إلينا الرب، لم يركز {انتباهه} على الطاعة غير الكاملة، بل ينظر إلى إيماننا. (شكراً لله!).

مع أن التعليم هنا يبدو واضحاً، إلا أن هناك جدل حول تشعب هذا التعليم. يقول المتطرفون: «من

---

[٩] جيمس إي سميث في تفسيره بعنوان «The Wisdom Literature and Psalms» من سلسلة «Old Testament Survey Series»، صفحة ٢٦١.

[١٠] راجع دراسة كلمة «خطيئة» في حديثنا عن رومية ٣: ٢٣. أُستُخدمت صيغة الفعل من كلمة «خطيئة» في تلك الآية، بينما أُستُخدمت الصيغة الاسمية في رومية ٤: ٧ و٨.

[١١] سي أف كيل وفرانز دليتزسخ في تفسيرهما «لكتاب المزامير» من مجلد «Commentary on the Old Testament»، صفحة ٣٩٥.

[١٢] المرجع السابق. تشير عبارة «وكأنها لم تحدث أبداً» إلى ذنب خطيئة داود وحده، وليست إلى عواقب تلك الخطيئة (راجع صموئيل الثاني ١٢: ١٠).

الواضح أن تعليم بولس يتخلص من الأعمال بكل أنواعها. وانه يستبعد المعمودية بصفة خاصة عن كونها شرط للخلاص. إذا كان علينا أن نعمل شيء ما لكي نخلص، هذا يعني اننا نحصل على الخلاص بجهدنا/بالجدارة». يجيب الذين في الطرف الآخر من التطرف: «إذا علمنا الناس بانهم لا يتبررون بالأعمال، سنثني عزمهم ولا يعملون للرب». بما أن ردود الفعل هذه منتشرة إلى حد ما، ربما علينا أن نقضي بعض الوقت للحديث عنها.

الأعمال مقابل الطاعة

التطبيق الأساسي الذي يقدمه بعض المفسرين للأصحاح ٤ من الرسالة إلى أهل رومية له صلة لسبب ما بالكيفية التي يصير به الشخص ابناً لله. يعطون مثل هذا التطبيق بغض النظر عن كون المثالين الذين قدمهما بولس (إبراهيم وداود) كانا كلاهما يؤمنان بالله[١٣]. يبدو أن هدف هؤلاء المفسرون الأساسي هو استبعاد المعمودية من كونها جزء من خطة الله لخلاص الإنسان.

ذكرتُ في درسٍ سابق أن الكُتَّاب الموحى إليهم لم يهتموا على ما يبدوٍ وكأنه «تناقض» كما يفعل بعضنا اليوم. علم بولس بشدة في الأصحاح ٤ من الرسالة إلى أهل رومية باننا لا نتبرر بالأعمال. وفي الوقت نفسه عندما نصل إلى الأصحاح ١٠ من هذه الرسالة نفسها، سنرى أن بولس لم يتردد في القول بان الاعتراف بالفم (وهذا شيء يفعله الشخص) يؤدي إلى الخلاص (رومية ١٠: ١٠). وتحدث في رومية ٦ عن الطاعة من القلب (رومية ٦: ١٧) (وهذا شيء يفعله الشخص)، وشمل التغطيس في ماء المعمودية (الآيات ٣-٦). بعد الدفن في ماء المعمودية، يقوم الشخص ليسلك «فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ» ولا يكون عبد للخطيئة في ما بعد (الآيتان ٤ و١٧؛ راجع ٧: ٦). ولكن لم يحاول بولس التسوية بين هاتين الناحيتين من الخلاص. صحيح اننا لا نتبرر (لا نخلص) بالأعمال. وصحيح أيضاً انه ينبغي أن نطيع الله (ويشمل هذا على الاعتراف بإيماننا ونعتمد) لكي نخلص (نتبرر). أكتفى بولس بتقديم هاتين الحقيقتين فقط دون زيادة.

«يكسب/يستحق» مقابل «يأخذ»

نجاهد عادة للتسوية بين كلام بولس باننا لا نخلص بالأعمال وبين التعليم الكتابي بانه لا بد أن نعمل شيء ما لكي نخلص. سمعت تفسير ما ساعدني، وربما سيساعدك أنت أيضاً: لا نستطيع كسب الخلاص ولكن لا بد أن نأخذه.

ما الفرق بين كسب الشيء وأخذه؟ فيما مثال لتوضيح[١٤] ذلك: يقرع شخص ما على الباب ويقول انه محتاج. فيقول صاحب المنزل أن عنده بعض الحطب يريد تقطيعه، وإذا قام بتقطيعها، فسيقدم له الطعام. قطع هذا الشخص الحطب فأكل. لقد كسب/استحق هذا الشخص الطعام. جاء شخص آخر يقرع على باب آخر ويقول انه جائع. أجاب صاحب البيت قائلاً: «لقد جئت في الوقت المناسب. لديَّ كمية كبيرة من الطعام أكثر مما استطيع تناوله وحدي، أدخل لنتناوله معاً!». يمكن لهذا الشخص أن يدخل إلى البيت ويجلس عند المائدة ويستمتع بالطعام المقدم له. هذا الشخص لم يكسب/لم يستحق هذا الطعام. ومع ذلك كان عليه أن يأخذه. ماذا يحدث إذا لم يدخل في ذلك البيت ويجلس عند المائدة ويتناول الطعام؟ لا يستفيد من الطعام الذي أُعْطِيَ له.

لا نستطيع كسب عطية الخلاص التي يمنحنا الله إياها، ولكن لا بد أن نأخذها. السؤال هو: كيف نعمل ذلك؟ من الواضح كيف نأخذ بعض من عطايا الله. نأخذ عطية الطعام التي يقدمها لنا الله بتناول ذلك الطعام. ونأخذ عطية الهواء التي يقدمها لنا الله بالتنفس. ليس من الواضح كيف يجب أن نأخذ عطية الخلاص التي يمنحها الله. الشخص الوحيد الذي يجب أن يوضح

---

[١٣] وُسعت هذه الفكرة في روبرتسون وايتساید بعنوان «A New Commentary on Paul's Letter to the Saints at Rome»، صفحتي ٨٩ و٩٠.

[١٤] يمكنك تعديل هذا المثال بحيث يتناسب مع منطقتك (بما يختص بنوع العمل الذي قد يُطلب من الشخص أن يعمل على سبيل المثال).

لنا كيف نأخذها هو الله نفسه (وهو يوضح ذلك في كلمته). تخبرنا كلمة الله كيف ننال الخلاص بالإيمان، وبانه ينبغي التعبير عن هذا الإيمان بالطاعة.

عدم الخيار مقابل خيار شخصي

أتوقع اعتراض مرة أخرى: «ولكن إذا كان علينا أن نفعل شيئاً يكون ذلك عمل. وبولس يقول اننا لا نخلص بالأعمال». بعد ما قرأتُ عدة تفاسير للرسالة إلى أهل رومية، أنا مقتنع بشيئين عن الكثير من مواقف القادة الدينيين نحو المصطلحين «عمل» و«أعمال».

أولاً، أنا مقتنع أن كلمة «عمل» قد تجعل الشخص قلق. يخاف المفسرون من التضمين بانه ينبغي للإنسان أن يعمل شيئاً ما لكي يخلص بحيث يشددون على أن «الإيمان ليس عمل». صحيح الإيمان ليس «عمل الجدارة»، ولكنه «عمل» بمفهوم انه شيء يفعله الشخص. كتب شارلس هوتج بان «الإيمان يعتبر من عمل الإنسان، كالصلاة والتوبة والحسنات، وأي شيء من هذا القبيل»[١٥]. لم يرى يسوع مشكلة في استخدام كلمة «عمل» عند الحديث عن الإيمان. قال: «هذَا هُوَ عَمَلُ الله: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ» (يوحنا ٦: ٢٩). ترجمة أخرى لهذه الآية هي: «العمل الذي يطلبه الله منكم هو: أن تؤمنوا بالذي أرسله».

الذين يصرون بان «الإيمان ليس عمل» يصفون الإيمان بتصورات كهذه: «الإيمان هو مد يد فارغة إلى الله». ليست لديَّ مشكلة بهذا التشبيه، ولكنهم ألا يعرفون أن «مد اليد» هو ما يجب عمله؟ قد لا يكون مد اليد عمل كبير، ولكنه عمل.

طريقة أخرى للنظر في هذا هي أن الإيمان أكثر «عملاً» من المعمودية: الإيمان شيء تفعله أنت، بينما المعمودية شيء يفعله لك شخص آخر. الخاطيء هو الفاعل عند الإيمان، ولكنه مفعول به عند المعمودية. علق دفيد ليبسكومب على هذا قائلاً:

> تسمى المعمودية أحياناً بانها عمل يقوم به الشخص الذي ينال المعمودية، ولكن للمعمودية القليل فقط من مواصفات الأعمال ... {أقل} من الإيمان والتوبة ... الشخص الذي ينال المعمودية يسلم نفسه في يد الشخص الذي يعمده، ويدفنه ذلك الشخص في ماء المعمودية ليقوم في المسيح {راجع رومية ٦: ٣-٦} ... عندما يموت الشخص ويأخذ أصحابه جسده ويدفنوه، لا يسمى أحد هذا عمل من جانب الشخص الذي دُفِنَ[١٦].

ثانياً، أنا على اليقين بان المفسرين الدينيين لا يدرون بمكان «الأعمال» (عمل الشيء) عند نيل الإنسان عطية الله للخلاص. يردد البعض كلمات وليم تمبل القائلة: «الشيء الوحيد ... الذي أقدمه لفدائي هو خطيئتي ...»[١٧]. يكتفي معظمهم بالقول اننا لا نعمل لكي نخلص، بل نعمل لأننا مخلصين (ويوجد بهذه المقولة شيء من الحق)، ولكنها لا تعبر عن الحق كله.

أني أُقَدِّر رغبة هؤلاء المفسرون لأن يقولوا بوضوح تام أن الخلاص عطية، ولا يمكن كسبه {أو الحصول عليه بجدارة}. وفي الوقت نفسه أتساءل ما إذا قد تناسوا عن صراع الأيام السالفة بين الذين يؤمنون بالعقيدة الكالفنية عن القضاء والقدر وبين الذين يؤمنون بحرية الخيار لكل شخص.

كان معلموا عقيدة القضاء والقدر يعلمون الناس بان الشخص لا يستطيع أن يعمل شيء بما يختص بخلاصه. انهم يؤمنون بان الله وضع مصير أناس معينين أن يخلصوا، والباقون يضلون. يقال أن «المختارين» لا يساهمون بشيء أبداً لخلاصهم. يعتقدون أن الله يضع الإيمان بطريقة تحكمية في قلوبهم ويمنحهم حياة روحية. ومن ناحية أخرى، يشدد المناصرون لعقيدة حرية الخيار على أن الكتاب المقدس يعلم بان كل شخص «حر اخلاقياً». إذا كان الشخص سيخلص أو يضل هذا لا يعتمد على قرار الله التحكمي، بل على إستجابة ذلك الشخص للإنجيل (راجع رومية ١٠: ١٦).

---

[١٥] شارلس هوتج في تفسيره بعنوان «Commentary on the Epistle to the Romans»، صفحة ١٠٩.

[١٦] دفيد ليبسكومب في تفسيره بعنوان «A Commentary on the New Testament Epistles» المجلد الأول «Romans» من الطبعة الجديدة، صفحة ٨٢.

[١٧] ورد هذا الاقتباس في تفسير لسلي سي ألن بعنوان «Romans» من مجلد «New International Bible Commentary»، صفحة ١٣٢٤.

سنتحدث عن القضاء والقدر في دروس لاحقة. وأما الآن فلنقل أن ضمير معظم الذين يسمون أنفسهم «مسيحيون» هو روح حرية الخيار هو من صلب تعليم الكتاب المقدس. ويبدو أن هذا هو الموقف العقائدي لكل تفسير متاح. إذا كان الحال هكذا، لماذا يصعب لكُتَّاب هذه التفاسير الاعتراف بان الأمر في آخر المطاف يتوقف على كل فرد ما إذا كان سيخلص أم لا؟

- قد يستمع إلى الإنجيل أو يتجاهله.
- قد يؤمن بيسوع أو لا يؤمن به.
- قد يقبل دعوة الرب أو لا يرفضها.
- قد يطيع الله أو لا يطيعه.
- قد يتبع المسيح أو يبتعد عنه.

إذا استمع الشخص وآمن وقبل وأطاع وتابع أهذا يعني انه قد كسب الخلاص {حصل عليه بالجدارة؟}. كلا. إذا فعل كل هذا يعني انه لعب دوراً في خلاصه. أني أقر بان هذا «لا يمثل شيئاً» مقارنة بما عمله الله لأجلنا. هذا جزء ضئيل جداً، ولكنه دور لا بد منه. يساهم الشخص إلى هذا الحد في خلاصه. أرجو ألا نتماحك بسبب كلمة «يساهم»، لنفهم أن الكتاب المقدس يعلم أن الإنسان لا بد أن يعمل شيء لنيل نعمة الله (أعمال ٢: ٣٧ و٣٨).

واجب مقابل محبة

تحدث هذا الدرس عن معظم هموم الذين يظنون أن التعليم عن ضرورة الطاعة يبطل تعليم بولس عن النعمة. قبل ما نختتم هذا الدرس، أريد أن أقول كلمة عن الهم بان التعليم عن «التبرير بالإيمان» قد يثبط عزم الناس عن العمل للرب.

عندما تحدث الأخ توماس عن الأصحاح ٤ من الرسالة إلى أهل رومية وأجرى التباين بين نظام الناموس/الأعمال وبين نظام النعمة/الإيمان، وضع التوكيد على انه إذا تم فهم نظام النعمة/الإيمان بطريقة صحيحة سيؤدي إلى المزيد من العمل، ولا يقلل منه. وقد استخدم عدة أمثلة توضيحية، بما فيها مثال عن شابة تدربت لتكون ممرضة:

> تخرجت ممرضة من كلية التمريض وحصلت على عمل تعتني بطفل عنده حالة خطيرة من مرض التهاب الرئة. أصبح عملها هنا لكسب العيش، تقوم به من أجل الراتب، ويعتمد على عقد محدد بكمية معينة من العمل مقابل مبلغ معين من الأجرة. انها تستحق الافتخار بالدخل الذي تحصل عليه تحت هذا الترتيب، لأنها تستحق المكافأه في هذا العمل الذي تؤديه بأكمل وجه. المكافأة أو الأجرة التي تحصل عليها على سبيل الدين، وليست على سبيل العطية. النعمة أو المحبة ليست عامل في تحديد المبلغ الذي يُدفع لها. ولكن في ما بعد، تزوجت الممرضة، وبعد مرور وقت من الزمان أصبح لها طفل، {وللأسف} أُصيب الطفل بإلتهاب الرئة وأصبح في حاجة إلى ممرضة مؤهلة لتعتني به. الآن لا تحتاج هذه الأم إلى عقد لضمان الراتب للخدمة التي ستقوم بها. تدخلت للقيام بالعمل الذي هي مؤهلة للقيام به، على أساس محبتها وعلاقتها مع طفلها. عندما يتألم الطفل، تتألم هي أيضاً، وعندما يتحسن الطفل، تتحسن الأسرة كلها. انها تعمل أكثر ولفترات أطول الآن من أجل علاقتها ولا تبالي بالساعة. أصبح عملها الآن مماثل لعمل «طاعة الإيمان» بالنسبة للشخص المسيحي[١٨].

عندما يزداد فهمك نعمة الله العجيبة، لا تكون جهودك في ما بعد كـ«إداءة الواجب»، بل تكون كـ«عمل محبة» أكثر فأكثر (راجع ١ تسالونيكي ١: ٣)!

الخلاصة

راجع مرة أخرى الرسم البياني في بداية هذا الدرس عن نظامي التبرير: نظام الناموس/ الأعمال ونظام النعمة/الإيمان.

- يشجع الأول الفخر {أي التباهي} (آية ٢) بما عمله الشخص، بينما يشجع الثاني التواضع والاحساس بالتوكل على الله.

---

[١٨] جي دي توماس في تفسيره بعنوان «Romans» من سلسلة «The Living Word»، صفحة ٣٣.

- يضع الأول التوكيد على كسب الخلاص بالجدارة، بينما يعلن الثاني انه من المستحيل كسب الخلاص، وانه ليس بالأعمال ولا يمكن أن يكون بها.
- يعتمد الأول على جدارة الإنسان، بينما يعترف الثاني بان البركات الروحية لا تأتي من الذات، بل من الرب.
- يركز الأول على إنجازات الإنسان، بينما يعتمد الثاني على التوكل على نعمة الله.
- يحاول الأول جعل الخلاص دين على الله أن يدفعه لنا (آية ٤)، بينما الثاني يعترف بان الفداء عطية من الرب.

تأمل في هذا التباين بحرص. ما هو النظام الذي علمه بولس؟ تحت أي النظامين تريد أن تكون؟ أي النظامين فيه رجاء؟

حدث ذات مرة ان كان هناك مبشر يكرز في حي الفقراء بمدينة اسكتلندية كبيرة. عندما خاطب مدمني الخمور «أناس الشوارع» والزواني، شجعهم على «سحب أنفسهم من الدرك الأسفل». وطلب منهم أن يبدؤا من جديد في الحياة. وكانت تقف في الخلف امرأة غاصت حياتها في الخطيئة والخِسة، بعد الاستماع لمدة ساعة من النصائح للتغير، لم تستطع تحمل المزيد. فصاحت بصوت عال إلى المبشر قائلة: «الحبل الذي {تمده} قصير جداً لا يصل إليَّ!»[١٩]. كل من يدري بإثمه وقصوراته يعلم بان الـ«حبل» الذي يمده نظام الناموس/الأعمال قصير جداً لا يصله إليه في خطيئته ويسحبه من إثمه. نظام النعمة/الإيمان وحده يملك «حبل» طويل بما فيه الكفاية للوصول إلى الخاطيء. ذلك «الحبل» هو محبة الله المعبر عنها في موت المسيح على الصليب!

[١٩] مأخوذ من دفيد أف بارقس من موسوعة «Encyclopedia of Sermon Illustrations»، صفحة ١٢٥.

مذكرة للمبشرين والمعلمين

إذا استخدمت هذا الدرس كموعظة، ربما عليك أن تناشد الحضور أن ينالوا عطية الله بطاعة الإيمان (يوحنا ١٤: ١٥؛ مرقس ١٦: ١٦).

هذا مدخل لسجن مامرتينوم بالقرب من الساحة العامة في روما. تقول التقاليد انه في هذا السجن تم حبس بطرس وبولس قبل اعدامهما. لهذا تقول الكتابة المنقوشة فوق المدخل: «سجن الرسولين القديسين بطرس وبولس». (راجع ٢ تيموثاوس ٤: ٢١).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩